هوالعليم

لماذا لا تكفي دراسة الفلسفة والعرفان؟

الفرق بين العلم والمعرفة

شرح دعاء أبي حمزة الثُّمالي ـ سنة ١٤٢٦ هـ ـ الجلسة العاشرة

محاضرة القاها

آية الله الحاج السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهرانيّ

قدّس الله سره

@MadrastAlwahy

أعوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ

بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيمِ

و صلَّى اللهُ عَلَى سيِّدنا و نبيِّنا أبِي‌القاسم مُحَمَّدٍ

و على آله الطَّيِّبين الطّاهرين

و اللَّعنةُ عَلَى أعدائِهم أجمَعينَ

«معرفتي يا مولايَ دليلي عليكَ وحُبِّي لكَ شفيعي إليكَ»

ما هي المعرفة الحقيقية؟ وهل تختلف عن مجرد التصورات والمعلومات؟

ذُكرَ للرُّفقاءِ أَنَّ مسألةَ المعرفةِ عبارةٌ عن إدراكٍ وإحساسٍ باطنٍ، وليستْ مجرَّدَ تصوُّراتٍ ومجموعةِ تصديقاتٍ وخطراتٍ وذهنيَّاتٍ، فهذه لا تُسمَّى معرفةً.

المعرفةُ عبارةٌ عن كيفيَّةِ الارتباطِ العلميِّ لِلإنسانِ بذلكَ المعروفِ والمعلومِ. وهذه المعرفةُ هي التي تدلُّ علَى المطلوبِ، لا مجرَّدَ التَّصرُّفاتِ والخطراتِ التي تحصلُ لِلإنسانِ. وذكرتُ اللَّيلةَ الماضيةَ أَنَّ الشَّريطَ الصَّوتيَّ لديهِ الكثيرُ مِنَ المعرفةِ، والكثيرُ مِنَ المعلوماتِ. ولكن ما في الشَّريطِ لا روحَ فيه، وإنّما هي مفاهيمُ أُدرجتْ فيه علَى هيئةِ صوتٍ، فالآن أنا أتحدَّثُ للرُّفقاءِ، والرُّفقاءُ ينتبهونَ لكلامي ويستمعونَ، فما يخرجُ مِنْ فمي عبارةٌ عن أصواتٍ، هو صوتٌ، لا شيءَ غيرَ هذا. أمَّا أنا نفسي، هل أعترفُ بهذه الأُمورِ أَمْ لا؟ فتلْكَ مسألةٌ أُخرَى. قد أقبلُ هذه الكلماتِ التي أقولُها للرُّفقاءِ، وقد لا أقبلُها، فأقولُ لأنَّ الرُّفقاءَ طلبوا منِّي، فلنقضِ ليالِيَ شهر رمضانَ بهذه الكلماتِ، يمكنُ أَنْ يكونَ الأمرُ هكذا أيضًا . أنا نفسي لا أقبلُ كلماتي، كقولِ ذلكَ اليهوديّ الذي كانَ يُؤذِّنُ لِلمسلمينَ، فيقولُ: علَى قولِ المسلمينَ اشهد أَنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ، علَى قولِ المسلمينَ. حسنًا، استأجروهُ وأعطوهُ مالًا، وهو أيضًا جاءَ يُؤذِّنُ. لا أعرفُ هل هذا

الأذانُ الذي يُبثُّ مِنَ الإذاعةِ، أحيانًا مثلاً في السَّحرِ ونحوهِ، ويقولونَ فلانٌ، الأفرادُ الذينَ ليسوا إيرانيِّينَ، هل هم أيضًا مِنْ هذا القبيلِ، أَيْ أُعطوا مالًا، أَمْ أَنَّ هذا حقًّا آذان؟ لأنّهم يقولونَ "اشهدوُ أَنَّ عليًّا وليُّ اللَّهِ. هؤلاء سُنَّةٌ، وليسوا شيعةً. حسنًا، في النِّهايةِ المالُ يحلُّ المشاكلَ، ويُصلحُ كلَّ شيءٍ. يقولونَ دينُنا عينُ سياستِنا، يقولونَ المالُ يُصلحُ كلَّ شيءٍ، وإلَّا فمِنَ المستبعدِ أَنْ يكونوا شيعةً. هؤلاءِ يقولونَ "أشهدُ أَنَّ عليًّا وليُّ اللَّهِ. أتعجَّبُ، أظنُّ أَنَّهُ سُنِّيٌّ، فلماذا قضيَّتُهُ هكذا؟ علَى كلِّ حالٍ... .

هل صوت المتكلم يختلف عن صوت المسجل؟ وأين يكمن الفرق الجوهري؟

هذا الصَّوتُ الذي يخرجُ مِنْ فمِ الإنسانِ، هذا الصَّوتُ الذي يخرجُ مِنْ فمي، هو صوتٌ. لا يختلفُ أبدًا عن ذلكَ الصَّوتِ الذي يخرجُ مِنْ جهازِ التَّسجيلِ. الآن هذه الأجهزةُ التي تُسجِّلُ صوتي، لاحقًا تستمعونَ إليهِ، عندما تسمعونَ هذا الصَّوتَ تقولونَ: السَّيِّدُ يقولُ هذا الكلامَ، حسنًا، أنا لا أقولُهُ، بل جهازُ التَّسجيلِ هو الذي

يقولُهُ، ولكنَّكم تقولونَ هو الذي يقولُ. هذا صوتٌ. هذا الصَّوتُ لهُ مفهومٌ. إلَى أَيِّ مدًى يدلُّ هذا المفهومُ علَى المطلوبِ؟ الحديثُ في هذا. إلَى أَيِّ مدًى يدلُّ علَى المطلوبِ؟

قصة الخطيب البليغ المنحرف: هل يكفي حسن البيان لإثبات الصلاح؟

حقًّا يجبُ علَى الإنسانِ أَنْ يلجأَ إلَى اللَّهِ. يرَى الإنسانُ شخصًا بليغًا، خطيبًا، حسنَ الحديثِ، حسنَ البيانِ، مُلمًّا بِالموضوعِ تمامًا، يحيط بالموضوعِ تمامًا، يُؤدِّي حقَّ الموضوعِ تمامًا. كنتُ يومًا مع **المرحومِ العلَّامةِ** في مجلسٍ، وكانَ هناكَ عددٌ مِنَ العلماء، بعضُ هؤلاءِ العلماء الحاليِّينَ الذينَ هم في موقعِ المسؤوليَّةِ كانوا موجودينَ، في زمنِ الشَّاهِ، في ذلكَ الزَّمانِ السَّابقِ، ليسَ في هذا الزَّمانِ الجديدِ. كانَ الحديثُ عن فردٍ يعرفُهُ الجميعُ، كانَ خطيبًا. يرتدي بدلةً. يتحدَّثُ ويكتبُ كتبًا، وكانَ منحرفًا جدًّا، منحرفًا جدًّا. كانَ الحديثُ عنهُ وجرت مقارنةٌ بينَهُ وبينَ الخطيبِ المعروفِ في ذلكَ الوقتِ المرحومِ الشيخ فلسفي، كانوا

يقارنونَ. جميعُ الأفرادِ اتَّفقوا علَى أنَّهُ لو أُعطينا موضوعًا لِلشيخ فلسفي ولِهذا الرجل، لكانَ هذا الرجل أقدرَ علَى بيانِهِ. رجلٌ حليقُ اللِّحيةِ، يرتدي ربطةَ عنقٍ ويتحدَّثُ في الحسينيَّةِ. يروّجُ لِلإمامِ الحسينِ عليهِ السَّلامُ بربطةِ عنقٍ ولحيةٍ حليقةٍ. الجميعُ كانوا يقولونَ، كانَ هناك اتِّفاقٌ علَى أنَّهُ أقدرُ علَى تناولِ هذا الموضوعِ ، مع أَنَّ المرحومَ الشيخ فلسفي كانَ خطيبًا بليغًا جدًّا، وحسنَ الحديثِ جدًّا، وكانَ حقًّا مِنَ النَّادرينَ في القدرة على بيانِ الأُمورِ. ولكن علَى كلِّ حالٍ، المسألةُ هكذا، ولكن قلب ذاك الخطيب كالَّليلِ المظلمِ، أسودُ، أسودُ، أسودُ، لماذا؟ لأَنَّهُ هو نفسُهُ لا يعتقدُ بِالأُمورِ التي يقولُها. هي لعبةٌ، تمثيلٌ، مسرحٌ. لا يعتقدُ. يأتي ليتحدَّثَ عن الإمامِ الحسينِ عليهِ السَّلامُ ساعةً أَو ساعتَينِ، وأحيانًا يطولُ الحديثُ ثلاثَ ساعاتٍ، ويعرِّفُ بنهجِ الإمامِ الحسينِ عليهِ السَّلامُ ومدرسته. فماذا كانَ نهجُ الإمامِ الحسينِ عليهِ السَّلامُ ومدرسته؟ إقامةُ الصَّلاةِ وإقامةُ العدلِ وإحياءُ ولايةِ أبيهِ أميرِ المؤمنينَ عليهِ السَّلامُ. «أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ

بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»[1]. ألم يكنْ هكذا؟ ألم ينهضِ الإمامُ الحسينُ عليهِ السَّلامُ يومَ عاشوراءَ وقتَ صلاةِ الظُّهرِ وصلَّى في أثناءِ الحربِ، ألم يكنْ كذلكَ؟ حينئذٍ هذا السَّيِّدُ نفسُهُ لا يصلِّي. نُقلَ شاهدُ عيانٍ لِوالدِنا، وهو المرحومُ المطهّريُّ نفسُهُ، وكنتُ حاضرًا، أنَّهُ قالَ: أنا علَى يقينٍ أَنَّ هذا الرجل لا يصلِّي. أنا بنفسي سمعتُ. وماذا عن كلامهِ؟ لا يعتقدُ بهِ. يأخذُ مالًا ويتحدَّثُ. يتحدَّثُ في هذا المجلسِ ويتحدَّثُ في ذاكَ المجلسِ. كم ستدفعونَ أكثرَ؟ هنا كم ستدفعونَ أكثرَ؟ نذهبُ. ما شاءَ اللَّهُ كم يتحدَّثُ بشكلٍ جميلٍ، ما شاءَ اللَّهُ كم يتحدَّثُ بشكلٍ جيِّدٍ، ما شاءَ اللَّهُ كم يتحدَّثُ بشكلٍ رائعٍ!

ما هو تأثير كلام من لا يعتقد بما يقول؟

ولكن كانَ عجيبًا، عجيبًا. هؤلاءِ الذينَ كانوا يذهبونَ لِلاستماعِ إلَى حديثِه، عندما كانوا يخرجونَ، كانوا كالحيوانات الممسوخِة. كانوا ممسوخينَ، مُرتبِكينَ. عندما

---

[1] **لمعات الحسين** ص ١١.

كنتُ أتحدَّثُ معهم، كنتُ أرَى أنَّهم أصلًا لا يفهمونَ، لم يكونوا يفهمونَ! لم يكونوا يفهمونَ. كنا نتحدَّثُ فيقولونَ شيئًا آخرَ. يعني عندما كانَ يتحدَّثُ هذا الرجل... وهذا الأمرُ العجيبُ واضحٌ في كتبهِ أيضًا. تقرأُ صفحةً مِنْ كتبهِ فيأخذُكَ الظَّلامُ والكدرُ لدرجةِ أنَّكَ تريدُ أَنْ ترميَ الكتابَ. كيفَ تُؤثِّرُ نفسُ الإنسانِ مع بيانهِ وبنانهِ، كيفَ تأتي هذه النَّفسُ وتُؤثِّرُ؟ فهذا الذي يقولونَهُ: لا تقرأوا أَيَّ شيءٍ، لا تقرأوا أَيَّ مقالةٍ، لا تستمعوا لأَيِّ كلامٍ، لا تنظروا إلَى كلامِ أَيِّ متكلّم، هو لِهذا السَّببِ. لا يقلِ الإنسانُ: لا يا سيِّدي! نذهبُ ونتحدَّثُ ونستمعُ ونحلِّلُ ونميِّزُ الصَّحيحَ مِنَ السَّقيمِ، لا، فذلكَ التَّأثيرُ يقعُ. أحيانًا تقتضِي الضَّرورةُ، نعم، أنا أيضًا قرأتُ معظمَ كتبِ هذا الرجل لأنَّ الضَّرورةَ كانتْ تقتضِي، مع أنَّني تكدَّرتُ أيضًا، ولكن مع ذلكَ قرأتُ، حسنًا، هذه مسألةٌ. ولكن لا أَنْ يتطفَّلَ الإنسانُ هنا وهناكَ، لنرَ ماذا هناكَ، ولنرَ ماذا هنا. لنرَ هذا هنا وذاكَ هناكَ، يأخذُ مِنَ الإنسانِ، ينتزعُ، يقتطعُ جزءًا. يسلبُ مِنَ الإنسانِ، يقتلعُ مِنَ الإنسانِ، مِنْ قلبِ الإنسانِ

يقتلعُ بِاستمرارٍ. كالَّليلِ المظلمِ. أسودُ، لأنَّهُ لا يعتقدُ. لِنتحدَّثْ ثلاثَ ساعاتٍ عن حضرةِ الزَّهراءِ عليها السَّلامُ ونُلقِيَ محاضرةً ونقدِّمَ مؤتمرًا، مَنْ كانتْ فاطمةُ الزَّهراءِ عليها السَّلامُ؟ هي التي قالتْ إنَّ خيرَ نساءِ العالمينَ هي المرأةُ التي لا ترَى رجلًا ولا يراها رجلٌ. هذا كلامُ حضرةِ الزَّهراءِ عليها السَّلامُ. فهل قالتِ الحقَّ؟ لا أعلمُ. نعوذُ بِاللَّهِ، نعوذُ بِاللَّهِ، هل أخطأتْ؟ لا أعلمُ، هذا الكلامُ كلامُ حضرةِ الزَّهراءِ عليها السَّلامُ. الآن هذا الرجل نفسُهُ، يجبُ أَنْ يرَى الجميعُ أقربَ محارمِهِ بِلا حجابٍ. حسنًا، أَيُّ حضرةِ زهراءَ هذه التي تتكلّم عنها أنت؟ أَيُّ مؤتمرٍ هذا الذي تقيمه؟ وأَيُّ حديثٍ هذا؟ وأَيُّ تبليغٍ هذا؟ بمَنْ تسخرونَ؟ أَيُّ تبليغٍ هذا؟

هل اختُزلت الشريعة في جانب الجهاد والسياسة فقط؟

لقد جئنا ولخَّصنا كلَّ معرفةِ الشَّريعةِ في جانب واحدٍ فقط، جانب الجهادِ فقط، جانب السّياسةِ فقط. كأَنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وآلِهِ حتَّى إمامَ الزَّمانِ عليهِ السَّلامُ إلَى زمانِنا هذا لم يعرفوا شيئًا سوَى الجهادِ يضربونَ، ويهرُبونَ،

ويفعلونَ كذا، مثلَ المغيرينَ هنا وهناكَ، لا عملَ آخر لديهم، لا يصلُّونَ ولا يحجُّونَ ولا يدعونَ، ولا يستغيثونَ، لا يبتهلونَ، ولا يبكونَ، ولا يقولونَ يا اللَّهُ، لا يذكرونَ اللَه، لا شيء، لا شيء، لا يعرفونَ أَيَّ عملٍ هؤلاءِ، فقط الجهادُ. ولو أَنَّ أحدَ الأئمَّةِ عليهم السَّلامُ، لا سمحَ اللَّهُ، لا سمحَ اللَّهُ، لا سمحَ اللَّهُ، قصَّرَ في أحدِ هذه الميادينِ الجهاديَّةِ، ولو قليلًا، لنشأ لدينا قلقٌ واضطرابٌ وقلنا: ما هذا ولنرَ ما الأمرُ ولعلَّ خطأً قد وقعَ! لعلَّ...! لو أردنا أَنْ نُرفقَ بذلكَ الإمامِ كثيرًا، نقولُ: لم يستطعْ أَنْ يُؤدِّيَ واجبَهُ كما يجبُ، لم يستطعْ، لم تكنِ الظُّروفُ مواتيةً لهُ، خلاصةَ القولِ، عندما نُريدُ أَنْ نردَّ علَى الإمامِ السَّجَّادِ عليهِ السَّلامُ بِأدبٍ، نعبِّرُ هكذا، بِأدب!

فما حال هذا؟ إنّه لا يملكُ معرفةً. ركَّزَ مجموعةً مِنَ الأُمورِ في ذهنِهِ ثُمَّ يأتي ليلعبَ بهذه التَّخيُّلاتِ، يلعبَ مسرحيَّةً، يُمثِّلَ. غايةُ المسألةِ هي هذه، وهي مؤسفةٌ جدًّا، مُخجلةٌ ومؤسفةٌ جدًّا، أَنْ نشاهدَ ونرَى أَنَّهُ في بعضِ

الأوقاتِ، تصلُ إلَى أسماعِنا أَو تُرى تأييداتٌ لأُمورِ هذا الرجل مِنَ البعضِ! فلنتجاوز عن هذا.

ما هي حقيقة المعرفة وكيف تتحقق في القلب؟

هذه المعرفةُ عبارةٌ عن تلكَ الحقائقِ العلميَّةِ التي يضعُها اللَّهُ تعالَى في قلبِ الإنسانِ تُجاهَ نفسهِ وتُجاهَ أسمائهِ وصفاتهِ، وتلكَ الحقائقُ العلميَّةُ تتسبَّبُ في توجيهِ الرُّوحِ نحو تلكَ الحقائقِ والوقائعِ. هذا هو السَّببُ. «العلمُ نورٌ يقذفُهُ اللَّهُ في قلبِ مَنْ يشاءُ العلمُ»[1]، نورٌ المعرفةُ نورٌ يُلقيهِ اللَّهُ في قلبِ مَنْ يشاءُ.

تقدّم للرُّفقاءِ في اللَّيالي الماضيةِ أَنَّ الاطِّلاعَ علَى المباني الحكميَّةِ والفلسفيَّةِ يفتحُ طريقَ الإنسانِ نحو المقصودِ ونحو المحبوبِ، والاطِّلاعَ علَى المباني العرفانيَّةِ يُنيرُ قلبَ الإنسانِ ويجلوه ويُهيِّئُ أفكارَ الإنسانِ لِلحقائقِ المكنونةِ والمخزونةِ ويُنيرُها. فمَنْ لم يدرسِ الفلسفةَ، لو درسَ الفقْهَ ألفَ عامٍ، لا يستطيعُ أَنْ يفهمَ

[1] **مصباح الشريعة**، ص ١٦

خصوصيَّاتِ اللَّهِ تعالَى. مسائلُ الزَّكاةِ والخُمسِ والتِّجارةِ ما علاقتُها بمعارفِ ومبادئِ المبدأِ والمعادِ؟ ما علاقتُها؟! مسائلُ الطَّهارةِ والنَّجاسةِ والاستصحابِ والتَّذكيةِ وعدمِ التَّذكيةِ والطَّهارةِ ما علاقتُها بمباني المبدأِ والمعارفِ الإلهيَّةِ؟ هي أحكامٌ تتعلَّقُ بِالجوارحِ ولا علاقةَ لها بِالجوانحِ. وعلَى الإنسانِ أَنْ يسيرَ في حياتهِ في هذه الدُّنيا وفقَ المسلكِ الصَّحيحِ الذي حدَّدهُ الشَّرعُ وهو الفقْهُ نفسُهُ، ولكنَّ المسائلَ الاعتقاديَّةَ لا علاقةَ لها بهذا. لا علاقةَ لها، يجبُ أَنْ يبحثَ عن شيءٍ آخرَ.فلو درسَ الفقْهَ ألفَ عامٍ، لن يعرفَ اللَّه؟ ما هي الأسماءُ الإلهيَّةُ؟ ما هي الصِّفاتُ الإلهيَّةُ؟ فهل هذه الأُمورُ موجودةٌ في الفقْهِ؟ هل هذه الأقوالُ هي في الفقْهِ؟! هل هذه الأقوالُ هي في الأُصولِ؟! ما لم تُدركْ جيِّدًا مسألةَ قاعدةِ "بسيطِ الحقيقةِ" فلا يمكنُكَ أَنْ تشاهدَ جانبَ الوحدةِ في الكثرةِ. ما لم تصلْ إلَى قانونِ العلِّيَّةِ، فلا يمكنُكَ أَنْ تُدركَ مسألةَ اتِّحادِ الاسمِ والرَّسمِ مع الذَّاتِ وتوحيدَ الأسماءِ وتوحيدَ الأفعالِ. ما لم نصلْ إلَى قاعدةِ صرافةِ الوجودِ في الفلسفةِ والعرفانِ

النَّظريِّ، فلا يمكنُنا أَنْ نفهمَ آياتِ القرآنِ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[1]، بماذا تُفهمُ هذه؟ هل تُفهمُ برواياتِ الزَّكاةِ؟ هل تفهم هذه الآياتُ برواياتِ الغلَّاتِ؟ هل تُفهم أَمْ أنَّها تحتاجُ إلَى مفتاحٍ آخرَ، وطريقٍ آخرَ؟

هل تكفي القراءة والمطالعة لتحصيل المعرفة الحقيقية؟

ولكنَّ الحديثَ هو أنّه هل تكفِي مجرَّدُ القراءةِ والمطالعةِ أَمْ لا؟! بل يجبُ أَنْ تكونَ هذه القراءةُ مصحوبةً بِالتَّوجُّهِ حتَّى يُؤدِّيَ ذلكَ التَّوجُّهُ إلَى استجلابِ النُّورِ ويركِّزَ هذه الحقائقَ في النَّفسِ ويحفرَها. كم مِنْ الناس كانوا من أهلَ الفلسفة وضلُّوا الطَّريقَ؟ إلَى ما شاءَ اللَّهُ. كانوا أساتذة في الفلسفة، ولكنَّهم وقعوا في الانحرافاتِ، وانجرُّوا إلَى الانحرافاتِ. كم مِنْ الناس انتهَى بهم المطافُ إلَى المادَّةِ والماديَّاتِ! وهذا الطَّرفِ وذاكَ وإلى الخارجِ وأمريكا! وانشغلوا بالمقام والموقع والأمر

[1] سورة الحديد (٥٧) الآية ٣.

والنهي، وهم أنفسُهم كانوا من أهل الفلسفة وأساتذة في الفلسفة أيضًا؟ نعم؟ كم مِنْ الأفرادِ كانوا كذلك!

قصّة طالب الشفاء مع الأستاذ الفيلسوف المنغمس في الدنيا: هل يمكن أخذ العلم ممن لا يطبّقه؟

قالَ أحدُهم ذهبنا إلَى فلانٍ لِأخذِ درسٍ، كانَ في مكانٍ ما. كانَ مِنْ هؤلاءِ الذينَ قضوا معظمَ عمرِهم في الخارجِ وأمريكا وأُوروبَّا، وإلقاءِ المؤتمراتِ في لندنَ والمؤتمراتِ في أمريكا، ومِنْ هذه الألاعيبِ التي لا تُساوي مائةٌ منها قرشًا واحدًا، وبِاسمِ التَّكليفِ الشَّرعيِّ ينحرفُ الإنسانُ بكلِّ الطُّرقِ، وهذا الطَّرف وذاكَ الطَّرف، والالتذاذات النَّفسيَّة، ويبرِّرُ لنفسهِ بِالتَّكليفِ الشَّرعيِّ. تريدُ أَنْ تشتهرَ، يا عزيزي، فاجلسْ في مكانِكَ. اجلسْ في بيتِكَ. تريدُ أَنْ تبلِّغَ، يمكنُكَ التَّبليغُ في قُمَّ نفسِها، وفي طهرانَ أيضًا يمكنُكَ، وفي مشهدَ أيضًا يمكنُكَ، هل يجبُ حتمًا أَنْ تذهبَ إلَى بلادِ الكفرِ ومحلِّ العيَّاشينَ والمستعمرينَ والظَّالمينَ، وهناكَ يجبُ أَنْ تبلِّغَ حتمًا؟ ما هي النَّتيجةُ؟ قالَ: ذهبنا إليهِ لِنأخذَ درسَ الشِّفاءِ، وعندما دخلنا منزلَهُ،

وجدنا أنّه ـ ما شاءَ اللَّهُ ما شاءَ اللَه! ـ وضعَ أريكةً في منزلِهِ قيمتُها عدَّةُ ملايينَ، وجلسَ علَيها، وقد نزعَ عمامتَهُ عن رأسِهِ وارتدَى روب الحمّام، ووضعَ ساقًا علَى الأخرَى، ثُمَّ هنا تمثالُ كذا وهناكَ تمثالُ فينوسَ وهناكَ تمثالُ فلانٍ. فهذا الرجل أرادَ أَنْ يُدرِّسَنا كتاب الشفاء لابنِ سينا! قسمَ الإلهيَّاتِ! قالَ: في هذه النِّصفِ ساعةٍ التي جلسناها لم نطرحِ الموضوعَ أصلًا. استحوذَ علينا مِنَ الكدرِ والظُّلمةِ منهُ ومِنْ حديثِهِ لدرجةِ أنَّنا بعدَ نصفِ ساعةٍ قلنا: سيِّدي، جئنا لِزيارتِكَ لم نطرحْ أصلًا لماذا جئنا إلَى هنا؟ كانوا عدَّةَ أشخاصٍ، فهنضوا وخرجوا. فمَنْ كانَ هذا الرجل؟ كانَ أوَّلَ مدرِّسٍ لِلفلسفةِ والأسفارِ، وفلسفةِ الغربِ، حسنًا، كانَ فلانًا! وقد توفِّيَ الآن رحمهُ اللَّهُ، مهما كانَ. حسنًا، ما حقيقة الأمر؟ مجموعةُ محفوظاتٍ بِلا نورٍ. كلُّ الأحاديثِ تدورُ حولَ إلقاءِ النَّدوةِ الفلانيَّةِ في لندنَ عن وحدةِ الوجودِ، وإقامةِ الجلسةِ الفلانيَّةِ في كندا عن الشُّهودِ في عرفانِ محيي الدِّينِ، والمشاركةِ في المؤتمرِ الفلانيِّ لِلأديانِ في أمريكا! كلُّ الأحاديث. فيا عزيزي، أينَ تلك الأبحاث

التي درستها؟ هذه الأُمورُ التي قرأتَها، إلَى أينَ أدَّتْ في النِّهايةِ؟ أنتَ الذي تقضِي كلَّ وقتِكَ في مؤتمرِ كذا وكذا وأشياءَ أُخرَى، في إقامةِ النَّدواتِ وهذه الأُمورِ! ماذا بقِيَ في النِّهايةِ لديك؟!

قصة الأستاذ الجامعي وكتب المرحوم العلامة: لماذا تؤثر كتب العرفاء أكثر من غيرها ؟

ذهبَ أحدُ الرُّفقاءِ، حفظَهُ اللَّهُ، إلَى طهرانَ لِزيارةِ أحدِ الأفرادِ المعروفينَ جدًّا. جامعيٌّ، مِنْ أساتذةِ الجامعةِ، وشخصٌ معروفٌ جدًّا في الفلسفةِ والعرفانِ وهذه الأُمورِ، ويبدو أنّ لديهِ أبحاثًا وتحقيقًا. فالتقَى بهِ، وقالَ كلامًا جيِّدًا. عندما علمَ أنَّهُ مرتبطٌ بمدرسةِ **المرحومِ العلَّامةِ** وكتبِ **المرحومِ العلَّامةِ** وأمثالِ ذلكَ، قالَ: سأقولُ لكَ شيئًا. قالَ: أنا لا أعرفُ ما القضيَّةُ؟ نحنُ بكلِّ هذه الفخفخةِ والأُبّهةِ، ونذهبُ إلى هنا ونذهبُ إلى هناكَ، ونُترجمُ الكتبَ. ونُقيمُ النَّدواتِ والمؤتمراتِ في العرفانِ والفلسفةِ ونكتبُ الكتبَ، لا نعرفُ ما حقيقة الأمرُ، إنَّ كتبَ السَّيِّدِ الطِّهرانيِّ هذه تهدِي الناس وتُخرجُهم مِنَ

الظُّلمةِ إلَى النُّورِ وتُنقذُهم مِنَ الحَيرةِ، وإنَّ خمسينَ كتابًا مِنْ كتبِنا لا يستطيعُ واحدٌ منها أَنْ يفعلَ هذا. لا نعرفُ سرَّ القضيَّةِ! كلامُهُ يُغيِّرُ الناس مِنْ هذا الطَّرفِ إلَى ذاكَ، ونحنُ مهما تحدَّثنا فإنَّ حديثنا يخرجُ فقط مِنْ أفواهنا ولا يؤثّر شيئًا. ولا نعرفُ السِّرَّ في ذلك. قالَ هذا رجلٌ يرتدي بدلةً، يرتدي بدلةً ومِنْ أهلِ هذه الأُمورِ. لماذا؟ لأنَّ كلامَهُ فيهِ نورٌ. هذا هو السَّببُ. كلامُهُ فيهِ نورٌ. وبينَ اللَّهِ الذي تتحدّث عنه أنتَ واللَّهِ الذي يتحدّث عنه السَّيِّدُ الطِّهرانيُّ فرقٌ كبيرٌ. بينَ الأمرِ الذي تقولُهُ أنتَ والأمرِ الذي يقولُهُ هو فرقٌ كبيرٌ، فرقٌ كبيرٌ جدًّا.

قصة المرحوم العلامة والمرحوم المطهري حول الرثاء في كتاب المعاد: ما سر ارتباط المعرفة بالولاية؟

كنَّا جالسينَ ذاتَ يومٍ في طهرانَ، وجاءَ الشيخ مطهَّري رحمهُ اللَّهُ لِزيارةِ **المرحومِ العلَّامةِ**. كانَ يأتي مرَّةً كلَّ أُسبوعٍ، طبعًا في البدايةِ، ولكن في الأواخرِ صار يأتي مرَّةً كلَّ أُسبوعَينِ. وذاتَ يومٍ كانَ يتحدَّثُ عن كتابِ معرفة المعادِ **لِلمرحومِ العلَّامةِ**، والذي يوجدُ في نهايتِهِ

رثاءٌ بعدَ كلِّ مجلسٍ. فكانَ يتحدَّثُ عن هذا، وقالَ لِلمرحومِ **العلَّامةِ**: "سيِّدنا، لو حذفتم هذه المراثيَ في أواخرِ المجالسِ، لأصبحَ الكتابُ أكثرَ إيجازًا وتنظيمًا، وخلاصة القولِ تقتصرُ الأُمورُ علَى البحثِ العلميِّ وهذه الأُمورِ. فقالَ لهُ **المرحومُ العلَّامةُ**: لن أحذفَ كلمةً واحدةً مِنْ تلكَ المراثي التي كتبتُها، كتابي هو هذا. فماذا يعني هذا؟ هذا الكلامِ الذي نقلتُهُ الآن عن **المرحومِ العلَّامةِ** والشيخ مطَهّري رحمهُ اللَّهُ .

فلنجلسْ أيُّها الرُّفقاءُ ونُفكِّرْ فنصل إلَى أُمورٍ كثيرةٍ، كثيرةٍ جدًّا. ماذا كانَ في ذهنِ **المرحومِ العلَّامةِ** عن الرِّثاءِ؟ ماذا كانَ في ذهنِهِ؟ أَيَّ هدفٍ كانَ يسعَى إليهِ مِنْ كتابةِ المعارفِ؟ أَيَّ هدفٍ كانَ يسعَى إليهِ؟ في أَيِّ حالٍ وجوٍّ كانَ **المرحومُ العلَّامةُ** عندَ كتابةِ هذه الأُمورِ؟ وفي أَيِّ حالٍ وجوٍّ هم الآخرونَ؟ نعم؟! فهل أدرك الرُّفقاءُ أَمْ لا؟ أَمْ يجبُ أَنْ أُوضِّحَ؟ لا، أدركتم، فهمتم. نحن نقولُ حسبَ فهمِنا: **المرحومُ العلَّامةُ** كانَ يعتبرُ رثاءَ سيِّدِ الشُّهداءِ عليهِ السَّلامُ حالًا وجوًّا ونورًا يُعطَى لِلحقائق التي كتبَها في

هذا المجلسِ، لماذا؟ كلُّ هذه الأُمورِ يجبُ أَنْ يكونَ إمضاؤُها بِإمضاءِ الولايةِ. الولايةُ يجبُ أَنْ تُمضِيَ نهاية الأمرِ. فإن أمضتْ، يصبحُ هذا الأمرُ نورًا، وإن لم تُمضِ، يصبحُ مثلَ سائرِ الأُمورِ. الأمرُ الذي يكونُ سندُهُ الولايةَ، تلكَ الفلسفةُ، ذلكَ الفقْهُ، ذلكَ التَّفسيرُ، ذلكَ الأُصولُ، ذلكَ التَّاريخُ، ذلكَ العرفانُ، ذلكَ العرفانُ النَّظريُّ الذي سندُهُ الولايةُ ويعتمدُ علَى الولايةِ، يعتمدُ علَى الإمامِ عليهِ السَّلامُ، هو الذي لهُ قيمةٌ، وإلَّا يصبحُ ماذا؟ ذكرتُ لكم تمثيلًا. التَّمثيلُ هو هذا. فهل تذكرونَ ما ذكرتُهُ لكم قبلَ بضعِ ليالٍ؟ وإلَّا يصبحُ خطاب ذلكَ السَّيِّدِ نفسِهِ. هو نفسُهُ لا يصلِّي، ثُمَّ يأتي ويُقيمُ ندوةً لمدَّةِ ثلاثِ ساعاتٍ عن الإمامِ الحسينِ عليهِ السَّلامُ. أحدُ الرُّفقاءِ ليس حاضرًا هنا، وهو في إحدَى المحافظاتِ، قالَ لي بنفسهِ: ذهبتُ ليلةً إلَى محاضرة لهذا الرجل وكنتُ قد صلَّيتُ قبل أن يشرع، فكانَ يُلقِي محاضرةً حتَّى السَّاعةِ الحاديةَ عشرةَ والنِّصفِ، وعندما انتهى أحاط به الناس وبدأوا يتحدَّثونَ، فقلتُ لهم: يا جماعة، إنّه لم يُصلِّ، فاسمحوا لهُ أَنْ يذهبَ ليُصلِّيَ.

فخرجَ أحدُهم وقالَ: يا سيِّدي، تنويرُ الأفكارِ أوجبُ مِنَ الصَّلاةِ، ولم يُصلِّ وقضَى صلاتَهُ. شاهدُ عيانٍ آخرُ قالَ لي. حسنًا الآن، ثلاثَ ساعاتٍ ليست بشيء، فلنفترضْ أنَّهُ أقامَ ندوةً عن الإمامِ الحسينِ عليهِ السَّلامُ ثلاثينَ ساعةً، أو مؤتمرًا، فلا شيء، ما الفائدةُ؟ فهذا لا نورَ فيهِ. لا نورَ فيهِ. هو حديثٌ، تسليةٌ، قضاءُ وقتٍ. انظروا إلَى الذينَ يخرجونَ من مجلسه، انظروا ماذا ترونَ في وجوههم؟ هل ترونَ نورًا أَمْ لا؟ لا، كلُّ مَنْ يخرجُ تراهُ ممسوخًا ويخرجُ. ممسوخًا.

مثال هتلر: هل قوة التأثير دليل على الصلاح؟

هتلرُ، رئيس ألمانيا، يقولونَ إنَّهُ كانَ عجيبًا جدًّا في الحديثِ. كانتْ لهُ نفسٌ قويَّةٌ جدًّا أيضًا، وكانَ يتحدَّثُ بجاذبيَّةٍ وهيبةٍ ونفوذٍ كبيرٍ. كانَ ساحرًا في حديثِهِ لدرجةِ أَنَّ الناسَ عندما كانوا يخرجونَ مِنْ حديثِهِ ـ كانَ يتحدَّثُ أحيانًا ساعتَينِ، ساعتَينِ ونصفٍ ـ عندما كانوا يخرجونَ لم تكن لديهم مشاعرُ، كانوا يفعلونَ أَيَّ شيءٍ يقولُهُ، كأَنَّهُ كانَ ينوِّمُهم مغناطيسيًّا. كانَ هكذا. حسنًا الآن، فهل هذا إنسانٌ جيِّدٌ؟! فلأَنَّهُ يفعلُ هذا هل هو إنسانٌ جيِّدٌ؟! كلاّ يا

سيِّدي، هو أوَّلُ جلَّادٍ، أوَّلُ ظالمٍ، أوَّلُ فاسدٍ. لقد جرَّ العالمَ كلَّهُ إلَى الخرابِ والدِّماءِ. ليسَ إنسانًا جيِّدًا.

متى يكون العلم (التفسير، الفلسفة، العرفان) ذا قيمة حقيقية؟

ذلكَ التَّفسيرُ الذي لهُ قيمةٌ هو الذي لُوحظَ فيهِ الاتِّصالُ بِالولايةِ.و تلكَ الفلسفةُ التي لها قيمةٌ هي التي تكونُ نتيجتُها تثبيتَ الولايةِ، هذه هي التي لها قيمةٌ، وإلَّا فالفلسفةُ لا قيمةَ لها. حسنًا، اللَّهُ واحدٌ، حسنًا، نعم هو موجودٌ، سواءٌ علمنا أَمْ لم نعلمْ، هو موجودٌ، فما فائدةُ ذلكَ لنا؟ ذلكَ العرفانُ النَّظريُّ الذي لهُ قيمةٌ هو الذي يربطُ فيهِ الإنسانُ نفسَهُ بصاحبِ الولايةِ، بِإمامِ الزَّمانِ عليهِ السَّلامُ، بذلكَ الوليِّ الحيِّ الذي لديهِ حياةٌ، فيُحْيِي نفسَهُ ويُحْيِي قلبَهُ. لا أَنْ يأتيَ فقط ويقولَ مبدأً عرفانيًّا ويكونَ قادرًا جدًّا علَى تناولهِ، لا! لا إشكالَ، ليتمكَّنَ منهُ ويتحدَّثَ عنهُ وعن جوانبهِ العلويَّةِ والسُّفليَّةِ وجميعِ جهاتهِ بشكلٍ جيِّدٍ، وعندما يقومُ الإنسانُ مِنْ حديثهِ يرَى أَنَّهُ سمعَ فقط مجموعةً مِنَ الأُمورِ، عينَ جهازِ التَّسجيلِ. كيفَ هو جهازُ

التَّسجيلِ؟ ليسَ لديهِ هذا الشُّعورُ أصلًا، يدورُ مِنَ الأوَّلِ حتَّى يصلَ إلَى الآخرِ. لا شُعورَ لديهِ. لا يفهمُ.

لماذا كان المرحوم العلامة يُضمّن مجالسه بالرثاء الحسيني؟

عندما يأتي **المرحومُ العلَّامةُ** بِالرِّثاءِ في آخرِ كلِّ مجلسٍ، فليقرأِ الرُّفقاءُ الرِّثاءَ أيضًا، لا أَنْ لا يقرأوهُ ويذهبوا إلَى درسٍ آخرَ. لا، بل اقرأوا الرِّثاءَ، فإذا قرأتم الرِّثاءَ، فإنَّ الأُمورَ التي قرأتموها تثبتُ حينئذٍ في قلوبِكم. لماذا؟ لأنَّ رثاءَ سيِّدِ الشُّهداءِ عليهِ السَّلامُ يمنحُ الحياةَ. رثاء سيِّدِ الشُّهداءِ عليهِ السَّلامُ يُثبِّتُ نَفَسَ الولايةِ في قلوبِنا بهذه الألفاظِ، هذا هو السَّببُ. ذلكَ المسكينُ لم يكنْ يفهمُ هذا الأمرَ. كانَ يقولُ: سيِّدي، احذفوا تلكَ المراثيَ مِنَ المجالسِ، احذفوا مراثيها. أتُحذفُ المراثيُ؟! إذا حُذفتِ المراثيُ، فماذا سيبقى؟! تبقَى مجموعةٌ مِنَ الأُمورِ الجافَّةِ هكذا. طبعًا، لدينا كتابٌ بعدَ كتابٍ، حسنًا، في بعضِ الكتبِ يجبُ علَى الإنسانِ أَنْ يُراعيَ المسألةَ، حسنًا، ليسَ واجبًا كلَّما كتبَ شيئًا أن يكتب رثاءً في آخرِهِ أيضًا، لا. فعندما تُطرحُ الأحاديثُ في المجلسِ وتُناقشُ وتكونُ مع

الرِّثاءِ، فلماذا يجبُ حذفُ الرِّثاءِ؟ هذا الشَّريطُ الذي نُشرَ **لِلمرحومِ العلَّامةِ**، جاءُوا إلَيَّ وقالَ الرُّفقاءُ: سيِّدي، هل نحذفُ مراثيَهُ؟ قلتُ: أبدًا، أبدًا. هل كانَ حديثُهُ مع الرِّثاءِ أَمْ لا؟ أنتم تريدونَ حذفَ الرِّثاءِ؟ لماذا؟ لماذا تريدونَ الحذفَ؟ انظروا كيفَ بيَّنَ الرِّثاءَ في الرِّثاءِ؟ كيفَ يشرحُ؟ كيفَ ينقلُ ذلكَ الحالَ والأحوالَ؟ حينئذٍ نرى امتيازَهُ عن بقيَّةِ المراثي. قالوا: هل نحذفُ صوت المادح؟ قلتُ: لا. ذلكَ المادحُ أيضًا كانَ في ذلكَ المجلسِ، يجبُ أَنْ يكونَ هو أيضًا. لا داعي لِلحذفِ. يجبُ أَنْ تكونَ كلُّ هذه الأُمورِ موجودةً. حينئذٍ يصبحُ هذا ماذا؟ نورًا. يصبحُ حياةً، يصبحُ معرفةً، يصبحُ صفاءً.

بين كلام الولي وكلام غيره: كيف نميز مصدر النور من مصدر الظلمة؟

ليجلسِ الإنسانُ ساعةً يستمع فيها حديثِ أحدِ أولياءِ اللَّهِ، ولِيٍّ مِنْ أولياءِ اللَّهِ، ثمّ ليخرج مِنَ المجلسِ ويرَى أَيَّ حالٍ وجوٍّ لديهِ؟ وليذهبْ ويجلسْ ثلاثَ ساعاتٍ عندَ آخر، مِنْ هؤلاءِ، وليرَ أَيَّ حالٍ وجوٍّ سيكون

لديهِ؟ كلاهما تحدَّثا، وكلاهما حسبَ زعمهِما قالا عن اللَّهِ والنَّبيِّ والمعارفِ، وكلاهما نقلا مِنْ هذه المباني نفسِها، ولكن ما هي القضيَّةُ؟ القضيَّةُ هي أَنَّ ذلكَ فيهِ نورٌ وهذا لا نورَ فيهِ. ذلكَ يُرشدُ وهذا لا يُرشدُ. كلَّما مرَّ الوقتُ، أصبحتِ الوجوهُ كلُّها أكثرَ مسخًا، وأكثرَ اعوجاجًا.

كانَ أحدُهم يأتي إلَى جلسةِ **المرحومِ العلَّامةِ** أيضًا، كانَ يأتي ليلًا، كانَ يأتي لياليَ الثُّلاثاءِ، كانَ يأتي أيَّامَ الجمعةِ. يا سيِّدي، لا يأتي اللَّهُ بيومٍ سيِّءٍ لأحدٍ، منذُ أَنْ جاءَ ذاك الرجل وأقامَ المحاضراتِ في طهرانَ انجذب إليه هذاو لم يعد يأتِي بعدَ ذلكَ أبدًا! تُركتْ أحاديثُ **المرحومِ العلَّامةِ** أبدًا! بدأتِ السَّخريَّاتُ والاسْتهزاءاتُ ثُمَّ أمور أخرى. لماذا؟! لماذا تسبَّبَ ذلكَ الحديثُ في عدمِ المجيءِ إلَى هنا؟ لأنَّ هذينِ لا يجتمعانِ. مع أَنَّ يومَ الجمعةِ الذي كانَ **المرحومُ العلَّامةُ** يعقدُ فيهِ الجلسةَ لم تكنْ فيهِ محاضرةٌ لأُولئكَ المساكينِ، ولكنَّهُ لم يعدْ يأتي. القدمُ التي يجبُ أَنْ تأتيَ إلَى مسجدِ القائمِ، تلكَ القدمُ لا تستطيعُ الذَّهابَ إلَى حسينيَّةِ الإرشادِ. والقدمُ التي تذهبُ إلَى حسينيَّةِ الإرشادِ،

لا تستطيعُ المجيءَ إلَى مسجدِ القائمِ. إمَّا هذا أَو ذاكَ. والأمرُ ليسَ بيدهِ أيضًا. لا يأتي بعدَ الآن. يُقالُ لهُ: "يا عزيزي، انهضْ وتعالَ، اذهبْ إلَى هناكَ وتعالَ إلَى هنا أيضًا.

ـ لا، نجلسُ نشاهدُ التِّلفازَ الآن، فنحن في النِّهايةِ مع زوجتِنا وأولادِنا يومَ الجمعةِ ولدينا مشاريعنا، أنتَ كنتَ تأتي يا عزيزي؟ فماذا حدثَ؟ يتغيَّرُ الحالُ والجوُّ، تتغيَّرُ الذِّهنيَّاتُ، تتغيَّرُ الأفكارُ، تتغيَّرُ الميولُ. كانَ يميلُ إلَى شيءٍ، والآن يميلُ إلَى شيءٍ آخرَ. هو نفسُهُ لا يعي مِنْ أينَ يتلقَّى الضَّربةَ؟ وهنا المشكلة. يتغيَّرُ الحالُ والجوُّ كلُّهُ. كانَ يأتي حتَّى الآن، ولم يعدْ يأتي الآن. هو كسل، لا ميلَ لديهِ لِقراءةِ القرآنِ. كانَ يقرأُ سابقًا، كلَّما وجدَ فرصةً فتحَ القرآنَ. الآن يأخذُ كتابَ فلانٍ ويقرأُهُ. آهٍ آهٍ! هل يعني هذا أَنَّ كتابَ هذا أصبحَ أعلَى مِنَ القرآنِ؟ لم يعدِ القلبُ يميلُ نحو القرآنِ، لم يعدِ القلبُ يميلُ نحو دعاءِ كميلٍ، لم يعدِ القلبُ صباحًا عندما كانَ يقرأُ دعاءَ الصَّباحِ، لم يعدِ الآن يميلُ نحو دعاءَ الصَّباحِ، فورًا يأخذُ الكتابَ ويقرأُ. فورًا

يأخذُ المقالةَ الفلانيَّةَ ويقرأُها، لماذا؟ لأنَّ هذينِ لا يجتمعانِ.

... * رو كه در يك دل نمى گنجد دو دوست**

يقول:

... *** امض فلا يسعُ قلبٌ واحدٌ حبيبين.

فهذا قانونٌ، قانونٌ كلِّيٌّ، ولا يشكُّ الرُّفقاءُ في هذه القضيَّةِ أيضًا أبدًا.

قصة الرجلين مع رسول الله صلى الله عليه وآله: لماذا يرى كل شخص النبيّ بشكل مختلف؟

كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وآلِهِ جالسًا، فجاءَ رجل وقالَ: "يا رسولَ اللَّهِ، كم أرَى وجهَكَ قبيحًا!" فقالَ: "صدقتَ. وجاءَ آخرُ مِنَ المؤمنينَ، فقالَ: "يا رسولَ اللَّهِ، كم وجهُكَ جميلٌ ورائعٌ!" لم أرَ وجهًا بهذا الجمالِ! فقالَ النبيّ صلّى الله عليه وآله: "صدقتَ. كلاكما تقولانِ الحقَّ. كان هناك شَّخصُ جالسًا قالَ: "يا رسولَ اللَّهِ، قلتَ لِكليهما صدقتَ". فقالَ: "أنا مرآةٌ، وذلكَ الذي يقولُ أنّي قبيحٌ، يراني من خلال نفسهِ، فحالُ هذا قد تغيَّر، وبعد أن

تغيَّر الحالُ، لم يعدْ يستطيعُ أَنْ يراني صافيًا ومنزَّهًا وطاهرًا، لا يستطيعُ أَنْ يرَى. لا يستطيعُ. توجدُ هنا أسرارٌ، أصلًا ليسَ مجالًا لِلحديثِ. توجدُ هنا حقًّا مسائلُ كثيرةٌ جدًّا. خلاصةَ القولِ، سأقولُ شيئًا بِإيجازٍ، يمكنُ لِلإنسانِ أَنْ يمتحنَ نفسَهُ بهذه الكيفيَّةِ. قلتُ هذا بِإيجازٍ ولن أُوضِّحَ أكثرَ. فحال الإنسان يتغيَّرُ.

ما هي المعرفة التي تكون دليلاً على الله؟ وكيف نميّزها ؟

ولكن إذا كانتْ هذه المعرفةُ مصحوبةً بِالنُّورِ، فهناكَ يقولُ الإمام : «معرفتِي يا مولايَ دليلي عليكَ»، هناكَ الدَّلالةُ. هناكَ الدَّلالةُ، ولكن هذه لم تعدْ دلالةً، هذه ضدُّ الدَّلالةِ. اذهبوا واستمعوا إلى هذه الأحاديثِ، أحاديث أهلِ الدُّنيا، استمعوا لأهلِ الدُّنيا، يتحدّثون عن اللَّهِ نفسِهِ، وعن هذا النَّبيِّ نفسِهِ. يشرحونَ هذا الدُّعاءَ نفسَهُ، يشرحونَ دعاءَ كميلٍ، يشرحونَ نهجَ البلاغةِ، يُفسِّرونَ. ولكنَّ الإنسانَ يرَى أَنَّ رغبتهُ لِاكتسابِ المعارفِ قد قلَّت بدلًا مِنْ أَنْ تزدادَ. تقلُّ بِاستمرارٍ، تقلُّ بِاستمرارٍ! مِنْ أينَ قد قلَّ ذا؟ لأنَّ الذي يقولُ هذ الكلام هو نفسُهُ لا نصيبَ

لهُ منها. يقولُ الكلامَ بِلا نورٍ. الكلامُ بِلا نورٍ يصبحُ ظُلمةً.

إذًا، مجرَّدُ دراسة الفلسفةِ أَو العرفانِ النَّظريِّ كما ذُكرَ، مجرَّدُ ذلك وحده ليس "دليلًا عليكَ". لا، بل المعرفةُ هي أَنْ يُخزِّنَ الإنسانُ تفكيرَهُ في نفسهِ تُجاهَ اللَّهِ تعالَى وذاتهِ وأسمائهِ وصفاتهِ وآثارِ عالمِ الوجودِ، مصحوبًا بِالنُّورِ، فماذا يصبحُ هذا؟ "دليلًا عليكَ". هذا يدلُّ، لماذا؟ لأنَّ النُّورَ دائمًا متَّصلٌ بمصدرِ النُّورِ. الآن هذا المصباحُ المضاءُ هنا، نورُ هذا المصباحِ الآن جاءَ ووصلَ إلَى أعينِنا، وبمجرَّدِ أَنْ نفتحَ أعينَنا نرَى أَنَّ هذا المصباحَ مضاءٌ هنا، لماذا لا نقولُ إنَّ هذه المروحةَ مضاءةٌ؟ لماذا؟ لأنَّ هذه لا نورَ فيها، المروحةُ لا نورَ فيها. هذا النُّورُ الذي يأتي مِنْ هناكَ يدلُّنا علَى ذلكَ المكانِ نفسِهِ، لا مترًا إلَى هذا الجانبِ ولا مترًا إلَى ذاكَ الجانبِ. هذا الجانبُ ظلامٌ، والمروحةُ لا نورَ فيها. وهذا الجانبُ أيضًا ظلامٌ. والوسطُ فقط فيه نورٌ. فهل رأيتم كيفَ أَنَّ الإنسانَ بمجرَّدِ أَنْ يستيقظَ مِنَ النَّومِ، إن كان فوقَ رأسهِ مصباحٌ، يظلُّ يوجِّهُ عَينيهِ نحو المصباحِ؟

فيصطدمُ ذلكَ النُّورُ بعَينهِ ويهدِي هذه العينَ إلَى ذلكَ المكانِ نفسِهِ. إن كانَ ما في داخلِنا ونفسِنا منيرًا، فهو يدلُّ علَى اللَّهِ. وإن لم يكنْ منيرًا، فلا يدلُّ. حتَّى لو كنَّا أعلمَ أهلِ الدَّهرِ، وكنّا أوَّلَ مرجعٍ، فلا يدلُّنا. لو كانتْ فينا كلمةٌ واحدةٌ بنورٍ، فبقدرِ تلكَ الكلمةِ الواحدةِ لدينا توجُّهٌ إلَى المبدأِ، ولو كانَ لدينا مقدار قليل مِنَ الأُمورِ بِلا نورٍ، فلا نملكُ توجُّهًا إلَى المبدأِ بقدرِ كلمةٍ واحدةٍ. ندورُ دائمًا في هذه الأُمورِ. مِنْ هذا الكتابِ إلَى ذاكَ، ومِنْ ذاكَ الكتابِ إلَى هذا، نبيِّضُ المسوَّدةَ ونسوِّدُ المبيَّضةَ، وخليطٌ غيرُ متجانسٍ؛ انظرْ إلَى هذا وانظرْ إلَى ذاكَ وأجبْ هذا واسألْ عن ذاكَ. أصلًا، مسكينٌ أنتَ نفسُكَ، فماذا؟ ماذا حدثَ؟ هل المهمّ أَنْ نعلقَ في هذه الأقوالِ صعودًا وهبوطًا، وهي لا تفتحُ لِلإنسانِ طريقًا نحو اللَّهِ؟ هذه الأُمورُ نفسُها تصبحُ حجابًا يحبسُنا في داخلِنا ولا يدعُنا نمزِّقُ ذلكَ الحجابَ ونرَى نورَ الشَّمسِ. ندورُ بِاستمرارٍ في ذلكَ الحجابِ، ندورُ هكذا. نذهبُ إلَى هذا، نقولُ لِذاكَ، ننقلُ أمرًا مِنْ هذا، نسمعُ كلامًا مِنْ ذاكَ، حسبَ زعمِنا نبلِّغُ

وأمثال ذلك. ولكنَّنا ندورُ بِاستمرارٍ في أنفسِنا وفي ذواتِنا، دورانٌ، دورانٌ. يجبُ أَنْ نفتحَ، يجبُ أَنْ نخرج.

قصّة الرجل الذي أمره المرحوم العلامة بترك كثرة المطالعة: متى يكون العلم حجاباً؟

ذاتَ يومٍ قالَ **المرحومُ العلَّامةُ** لأحدهم: "كم تُطالعُ؟! فبدلاً مِنَ المطالعةِ، تعالَ وحرِّرْ فكرَكَ قليلًا، افتحْ فكرَكَ. تشتري الكتبَ بِاستمرارٍ وتقرأُ بِاستمرارٍ. اتركْ هذه الأُمورَ جانبًا، اهتمَّ بنفسِكَ قليلًا. قالَ لي: أتعجَّبُ كيفَ أَنَّ السَّيِّدَ، مع وجودِ هذا الاستعدادِ لديَّ، كانَ يرتدي بدلةً، لم يكنْ طالبَ علومٍ دينيَّةٍ، كانَ موظَّفًا. أنا الذي لديَّ مثلُ هذا الاستعدادِ لِلمطالعةِ، ولديَّ مثلُ هذه الفرصةِ الآن أيضًا، جاءَ وحرمني مِنْ قراءةِ الكتبِ. قلتُ: نعم! أصلًا ما شأنُكَ بهذا السَّيِّدِ؟ اتركْهُ جانبًا، فانهضْ واقرأْ كتابًا. لماذا أصلاً تطيعه؟! قلتُ لهُ: أَيُّ سيِّدٍ هذا إنّه يقولُ لكَ كنْ أُمِّيًّا، فهل هذا أصبحَ سيِّدًا؟ فانهضْ وطالع الكتب!"

فقالَ: ماذا تقول؟

فقلتُ: يا عزيزي، هو يريدُ أَنْ يُنقذَكَ مِنْ نفسِكَ، لقد علقتَ في نفسِكَ وفي كومةٍ مِنَ الأُمورِ الجوفاءِ التي في رأسِكَ الأجوفِ. كنتُ أقولُ لهُ هكذا، ولست أمازحُ أحدًا. قلتُ: لقد ملأتَ كومةً مِنَ الأُمورِ الباطلةِ في رأسِكَ الأجوفِ، وهي لا تدعُكَ تخرجُ، لا تدعُكَ تُحرِّرُ فكرَكَ. وهو يريدُ أَنْ يُصلحَ هذا. هذه الأُمورُ مفيدةٌ إلَى حدٍّ ما، نافعةٌ إلَى حدٍّ ما، بحيثُ يُحفظُ جانبُها النُّورانيُّ. يُحفظُ جانبُها الطَّريقيُّ، لا أَنْ تصبحَ هي نفسُها الموضوعَ، لا أَنْ تصبحَ هي نفسُها الأصلَ، ولا أَنْ تصبحَ هي نفسُها حجابًا.

ما هي المعرفة التي دعا إليها الإمام السجاد عليه السلام؟

لذا يقولُ الإمامُ السَّجَّادُ عليهِ السَّلامُ: "معرفتِي بكَ"، معرفةٌ لم أقرأْ فيها فقط شفاءَ ابنِ سينا وكتابَ صدرِ الدِّينِ القونَويِّ والشَّيخِ شهابِ السُّهروردِيِّ. لديَّ معرفةٌ بكَ. هذه الأُمورُ في ذهني عنكَ قد ملأتْ قلبي، جاذبيَّتُهُ قد شدَّتْ قلبي نحوها، شدَّتْني نحوها، هذه الحقائقُ قد جذبتِ انتِباهَ قلبي نحوها. هذا يتسبَّبُ في أَنْ أُنجذبَ

نحوَكَ. هذه المعرفةُ. إذًا، المعرفةُ التي يقولُها الإمامُ السَّجَّادُ عليهِ السَّلامُ عبارةٌ عن معرفةِ اللَّهِ تعالَى، هذه المعرفةُ بِاللَّهِ تعالَى مقترنةٌ بِالنُّورانيَّةِ لا بِالظُّلمةِ. المعرفةُ المقترنةُ بِالظُّلمةِ ليستْ "دليلًا عليكَ" لأنَّ هذينِ متناقضانِ. ذلكَ الذي يقرأُ الفلسفةَ ليتمكَّنَ مِنَ الرَّدِّ علَى الشُّبهاتِ ويشتهرَ اسمُهُ هنا وهناكَ، ليسَ علمه "دليلًا عليكَ"، مائةَ عامٍ يدورُ حولَ نفسهِ كحمارِ الرَّحَى. ذلكَ الذي يُدرِّسُ العرفانَ لِمجرَّدِ أَنْ يكونَ لديهِ شغلٌ، ولكنَّهُ لا يُقيِّدُ نفسَهُ ولا يُكلِّفُها ولا يُلزمُها بِاتِّباعِ تلكَ الأُمورِ والحقائقِ، فهذا ممثِّلٌ بصراحةٍ تامَّةٍ. هذا ليسَ "دليلًا عليكَ". لذا نرَى في التَّوجُّهاتِ، بدلًا مِنْ أَنْ يتوجَّهوا نحو الحقِّ، يتوجَّهونَ نحو الباطلِ. لماذا؟ لأنَّهم لا يملكونَ نورًا. في الوقائعِ والحوادثِ التي تقعُ، بدلًا مِنْ أَنْ يتَّجهَ نحو الواقعِ والنُّورِ، يتَّجهُ نحو الطَّرفِ الآخرِ. يا سيِّدي، اذهبْ وافعلْ هذا العملَ، حسنًا، هذا العملُ فيهِ إشكالٌ، خطأٌ، لا نورَ فيهِ، القلبُ متوجِّهٌ إلَى غيرِكَ. يُرشدُ ولكن ليسَ نحو اللَّهِ، بل نحو غيرِ اللَّهِ. يا عزيزي، أنتَ كنتَ

أُستاذَ فلسفةٍ لِثلاثينَ عامًا، فلماذا حدثَ هكذا؟ فأَيُّ يدٍ أمسكتْ بكَ؟ هذه المطالعاتُ، هذه الدُّروسُ، هذه المعاناةُ، أَيُّ يدٍ أمسكتْ بكَ؟ هذا الذي يجبُ أَنْ يُظهرَ نفسَهُ هنا، فلماذا ظهرَ هكذا؟ لأنَّ القلبَ لم يكنْ متَّجهًا نحو ذلكَ الاتِّجاهِ. القلبُ متَّجهٌ نحو اتِّجاهٍ آخرَ. عندما يكونُ القلبُ متَّجهًا نحو اتِّجاهٍ آخرَ، فإنَّ الأُمورَ التي تمرُّ علَى ذلكَ القلبِ، تلكَ الأُمورُ لا اتِّجاهَ لها نحو المبدأِ، بل فيها انحرافٌ. حسبَ مقدارِ انحرافِ القلبِ، بذلكَ المقدارِ. بنفسِ القدرِ الذي ألزمنا أنفسَنا بِالانقيادِ والطَّاعةِ، بنفسِ ذلكَ القدرِ لدينا توجُّهٌ إلَى المبدأِ، بنفسِ ذلكَ القدرِ. الآن سواءٌ كانَ العلمُ كثيرًا أَمْ قليلًا، مرتبةُ المعرفةِ تكتسبُ هذه الرُّتبةَ وتتفاوتُ شدَّةً وضعفًا بِواسطةِ النُّورِ الذي في القلبِ.

هل يمكننا الوصول إلى مراتب المعرفة التي وصل إليها الأئمة عليهم السلام؟

الآن لا ينبغِي أَنْ نقولَ إنَّ الإمام السَّجَّادِ عليهِ السَّلامُ عندما يقولُ مثلَ هذا الأمرِ كانَ إمامًا، فهو يقولُ: «معرفتِي

يا مولايَ دليلي عليكَ». ونحنُ لسنا مثلَ الإمام السَّجَّادِ عليهِ السَّلامُ. متى نصلُ نحنُ إلَى مستوَاه؟ لا، لقد قيلَ ذلك ولكنّ النُّور دائمًا يدلُّ علَى النُّورِ. فإن كانَ لدينا مصباحٌ بقدرةِ واط واحدٍ، فبذلكَ القدرِ يدلُّ عليهِ، وبقدرةِ ٢ واط و١٠ واط ومائةِ واط، حتَّى يصلَ إلَى الشَّمسِ. لأنَّ النُّورَ يدلُّ علَى النُّورِ. عندما يكونُ القلبُ منوَّرًا بِالنُّورِ، فإنَّ هذا النُّورَ يتسبَّبُ في أَنْ يُجذبَ الإنسانُ نحو المبدأِ، وبِالانجذابِ تزدادُ معرفتُهُ، ثُمَّ تُهيِّئُهُ لِانجذابٍ أكبرَ، وهكذا حتَّى يصلَ إلَى ذلكَ المقامِ والمرتبةِ التي يحدثُ فيها الانكشافُ الكلِّيُّ والانفتاحُ الكلِّيُّ ويتجلَّى سُلطانُ المعرفةِ لِلإنسانِ ويستولي علَى كلِّ وجودِ الإنسانِ. فما هذا؟ إنّه حقيقة المعرفةِ.

ما الفرق الدقيق بين "دليلي عليك" و"دليلي إليك"؟

لذا يقولُ الإمام هنا: «معرفتِي يا مولايَ دليلي عليكَ». معرفتِي دليلٌ عليكَ، لا يقولُ دليلٌ إليكَ. لدينا "دلَّ عليهِ" ولدينا "دلَّ إليهِ". مدلولٌ عليهِ ومدلولٌ إليهِ. المدلولُ عليهِ يعني ذاتَهُ هو. حسنًا، هذا إنْ شاءَ اللَّهُ إذا سمحَ

الرُّفقاءُ، نتركْ توضيحَه إنْ شاءَ اللَّهُ لِلجلسةِ القادمةِ. لأنَّه يحتاجُ إلَى بعضِ الحديثِ، وفي هذه الأواخرِ قد نفدتْ قوانا أيضًا. مع أَنَّ الشَّوقَ والحماسَ والحمدُ لِلَّهِ والهمَّةَ كبيرة، أغبطُكم، وهذا واضحٌ مِنْ وجناتِ الرُّفقاءِ.

دعوة للأنس بذكر الله والتفكر في حقائق الوجود

ولكن حسنًا، إنْ شاءَ اللَّهُ نأملُ أَنْ يوفِّقَنا اللَّهُ وفي هذه اللَّيالي مِنَ الشهر المباركِ، وفي جلساتُ الأُنسِ هذه، فهذه أُنسٌ. فلنأتِ ولنجلسْ ونتحدَّثْ معًا ونقولُ أمرًا ويتمُّ التَّبادلُ والأُمورُ حتَّى نجدَ ذريعةً، نجدَ ذريعةً، يقولونَ الجنَّةُ لا تُعطَى بِالثَّمنِ بل بِالذَّريعةِ. فلِنجدْ ذريعةً حتَّى نعطى.

... * در ره دوست به هر حیله رهی باید زد**

يقول:

... *** في طريقِ الحبيبِ يجبُ طرقُ كلِّ بابٍ بكلِّ حيلةٍ

ولنقضِ ذكرَنا وأوقاتَنا بذكرِ عوالمِ الواقعِ والحقيقةِ والمسائلِ الرُّبوبيَّةِ، فإنَّ خيرَ الدُّنيا والآخرةِ حقًّا في هذا،

ولنجلسْ حقًّا ولنُفكِّرْ مع أنفسِنا كم مضَى مِنْ عمرِنا بالنِّسبةِ لِلمسائلِ التي ينشغلُ بها سائرُ الأفرادِ مِنْ كلِّ مجموعةٍ ومِنْ كلِّ فئةٍ ومِنْ كلِّ مدرسةٍ ونحلةٍ، والأحاديثُ الدَّائرةُ. نحنُ أيضًا كنَّا في هذه الأُمورِ، نحنُ أيضًا كنَّا قليلًا أَو كثيرًا في هذه المدارسِ، وفي هذه المجالسِ، وتحدّثنا بهذه الأحاديث. وقد تعبنا، رأينا يا عزيزي أَنَّ هذه الأحاديث لا نهايةَ لها، لا نهايةَ لها! إذًا الآن عندما تظهرُ هذه الحقائقُ نفسُها لِلإنسانِ وتُفهمُهُ الواقعَ، فلنسألِ اللَّهَ أَنْ يُقدِّرَ لنا أيضًا توفيقَ الوصولِ إلَى هذه الحقائقِ وإدراكِ هذه الحقائقِ والالتزامَ بهذه الحقائقَ.

اللَّهمَّ صلِّ علَى محمَّدٍ وآلِ محمَّدٍ